ماذا لو أطال الله عمرك ١٥ سنة

"فصار قول الرب إلى أشعياء قائلاً إذهب وقل لحزقيا هكذا يقول الرب اله داود أبيك. قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة"

(أشعياء٣٨ : ٤)

للقس اغسطينوس حنا

لمحة عن قصة الملك حزقيا

لنبدأ بسرد ملخص قصة حزقيا ثم نستخلص منها بعض الدروس النافعة .. ذُكرت قصة حزقيا الملك أولاً فى سفر الملوك الثانى إصحاحات ١٨ - ٢٠ ، ٢أخ٢٩-٣٠ ،أش٣٧ - ٣٩) حيث يقول الكتاب «ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا. كان أبن خمسة وعشرين سنة حين ملكَ وملك تسعة وعشرين سنة فى أورشليم. **وعمل المستقيم فى عينى الرب حسب كل ما عمل داود أبوه فأزال المرتفعات وكسّر التماثيل وقطع السوارى وسحق حيّة النحاس التى عملها موسى لأن بنى إسرائيل كانوا فى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان** .. وبعده لم يكن مثله فى جميع ملوك يهوذا ولا فى الذين كانوا قبله. وإلتصق بالرب ولم يحد عنه بل حفظ وصاياه وكان الرب معه» (٢مل١٨ : ٢-٧).

ثم نقرأ فى تاريخ الملك حزقيا أنه تعرض لأخطر حدثين فى حياته .. الأول أنه تعرض لتهديد وغزو سنحاريب ملك أشور بجيوشه الجرارة وإستفزازه له هو وألهه. والثانى هو موضوعنا أنه أُصيب بمرض خطير وُصف بإنه مرض الموت، وأن الرب أرسل له أشعياء النبى يقول له: «أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش»! **وقد تغلب حزقيا على الموت المحقق فى الحدثين بالصلاة!**

فبالنسبة لهجوم سنحاريب ملك أشور وتحدياته نشر حزقيا رسائل تهديده أمام الرب وصلى بحرارة فنجاه الرب بإرسال ملاكه الذى قتل كل جيش سنحاريب ليلاً بوباء أو بمعجزة ١٨٥٠٠٠ مائة وخمسة وثمانين ألف جندى! (٢مل١٩ : ٣٥ ، أش٣٧ : ٣٦).

وبالنسبة لمرض حزقيا المميت وإنذار الرب له أنه سيموت وعليه أن يوصى بيته لأنه لن يعيش .. نقرأ أن حزقيا وجه وجهه إلى الحائط وصلى صلاة حارة وبكى بكاء عظيماً. الأمر الذى جعل الرب يسرع بالإستجابة فوراً ويكلف أشعياء النبى بالعودة إليه ليخبره بأن الرب سمع صلاته ورأى دموعه وقرر أن يُضيف إلى عمره - الذى كان قد إنتهى - خمسة عشرة سنة !!

هذه هى ببساطة قصة الملك حزقيا ولكى نفهمها جيداً يجب علينا أن نلاحظ المسائل والمشاكل التالية ...

ما هى صفات هذا الرجل؟ وهل هو الوحيد الذى عمل الله معه هذه المعجزة؟ وماذ كانت صلاته؟ وهل تُغيّر الصلاة إرادة الله؟ وهل العمر محدد أم يمكن أن يطول أو يقصر؟ وماذا قال حزقيا فى مزمور الشكر الرائع بعد أن إستجاب الله صلاته؟ وهل كانت إطالة الرب عمر حزقيا ١٥ سنة فى صالحه أم أضرّت به؟ **وهل توجد آيات وقواعد كتابية تُفيد أنه بإمكان الإنسان أن يُطيل عمره أو يقصّره ؟!!**

أود أن أُجيب على هذه التساؤلات بقدر الإمكان وبإيجاز تحت العناوين التالية :

أولاً- من هو حزقيا؟ وهل يمكن أن إبليس يُنجب قديساً أو قديس يُنجب إبليس؟!!

يخبرنا الكتاب أن حزقيا كان أحد ملوك سبط يهوذا ومن نسل داود النبى وكان تقياً محباً للرب ومطيعاً له بل كان أتقى وأفضل الملوك منذ أيام داود وكان رجل الأصلاح وباعث نهضة

وهذا بالرغم من حداثة سنه إذ أعتلى العرش وعمره ٢٥ سنة وأنه أبن ملك شرير هو آحاز وكان رابع ملك أثناء فترة نبوة أشعياء النبى إذ نقرأ فى إفتتاحية سفر أشعياء الآتى: "**رؤيا أشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم فى أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا**" (أش١ : ١).

ويحدثنا سفر الأمثال فى مقدمة الأصحاحات من ٢٥ لآخر سفر الأمثال (ص٣١)، "**هذه أيضاً أمثال سليمان التى نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا**" (أم٢٥ : ١).

إذن فنحن مدينون لهذا الملك التقى حزقيا بوصول جزء هام من سفر أمثال سليمان إلينا بما فى ذلك إصحاح "**المرأة الفاضلة**" !

أما السؤال هل يمكن أن يُنجب أبليس قديس (آحاز يُنجب حزقيا)؟ أو قديس يُنجب أبليس (حزقيا يُنجب منسى)؟ فالإجابة هى أن القاعدة العامة هى أن الأبرار ينجبون أبراراً لأنهم يربونهم فى مخافة الله مثل زكريا وأليصابات القديسين السالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. لا غرابة أن ينجبا أعظم مواليد النساء من الأنبياء أى القديس يوحنا المعمدان.

وبالعكس يُنجب الأشرار أشراراً لأنهم لا يعلموهم محبة الله ومخافته. ومن أمثلة ذلك آخاب وإيزابيل اللذين أنجبا أشرار كثيرين. ولكن كل قاعدة لها شواذ وأستثناءات فيمكن أن ينجب الأبرار شريراً أو الأشرار باراً. وهذا الأستثناء ظاهر فى حالتنا بل وتكرر بصورة ملحوظة فى ملوك يهوذا إذ كان يوثام صالحاً وولد آحاز الشرير. وكان آحاز شريراً ولكنه ولد حزقيا التقى. وكان حزقيا صالحاً ولكنه ولد منسّى الشرير !!

وقد لخص الكتاب صفات الملك حزقيا وفضائله بأنه:

(١) **كان رجل صلاة** وقد عملت صلاته المعجزات سواء فى الأنتصار على جيش سنحاريب بدون حرب، أو فى إطالة عمره !

(٢) **وكان رجل كلمة الله** إذ أهتم بجمع أمثال جدّه سليمان وأدرجها فى الكتاب المقدس وقد وصفه الكاتب بأنه كان يحفظ وصايا الله (٢مل١٨ : ٦).

(٣) **وصف حزقيا بأنه "ألتصق بالرب ولم يحد عنه"** (٢مل١٨ : ٦).

(٤) **أنه رجل الأعمال الصالحة** الذى عمل المستقيم فى عينى الرب مثل داود أبيه (٢مل١٨ : ٣)

(٥) **وكان رجل الأصلاح والنهضة** حتى أنه كسّر التماثيل الوثنية وأزال المرتفاعات وقطع السوارى وسحق حيّة النحاس التى عملها موسى (سفر عد٢١ ، يو٣ : ١٤)، لمنع بنى إسرائيل من عبادتها والوقوع فى الوثنية إذ كانوا يوقدون لها البخور (٢مل١٨).

(٦) **كان رجل الإيمان والأتكال على الرب** ويثق فيه ثقة كاملة حتى لم يكن مثله (٢مل١٨).

(٧) **وكان رجلاً ناجحاً والرب معه** (٢مل١٨ : ٧).

وصية الرب وأعلانه لحزقيا عن موعد موته:

يطالعنا إصحاح ٣٨ من سفر أشعياء بأن حزقيا مرض مرض للموت فأرسل له الرب أشعياء النبى برسالة " **هكذا يقول الرب أوصى بيتك لأنك تموت ولا تعيش**" !

أن حكمة الله إقتضت أن يخفى يوم الموت عن البشر حتى لا يرتبك الإنسان ولا يربك العالم، وحتى يعيش الإنسان مستعداً دائماً. ولكن نادراً ما يعلن الله لأتقيائه وقديسيه هذه الساعة، ومن هؤلاء قديسنا الملك حزقيا! ولعل هذه هى المرة الوحيدة أيضاً فى الكتاب المقدس التى أعلن فيها الله لأحد عن موته الوشيك. ومع أن هذا الخبر عادة يصدم الإنسان لأنه يكره الموت أو يخافه أو يكون غير مستعد له أو يخاف مصيره بعد الموت أو لا يريد الإنفصال عن أحبائه -إلاّ أن معرفة الإنسان لساعة موته هى نافعة له لعدّة أسباب منها أن يتوب ويستعد لأبديته، كما أنه نافع ليدبر الإنسان أموره العالمية والعائلية والمادية. ومرات كثيرة يقع الكثيرون - حتى من الأذكياء - فى هذا الخطأ الفادح فيفاجأه الموت بأزمة قلبية أو حادث بدون إطلاع زوجته أو أولاده على أحوالهم المالية والمعيشية من بعده، ولا يكون قد عمل وصية ولم يخبرهم فى أى البنوك يضع أمواله وأدخاراته وفى هذه الحالة تدوخ الأرملة المسكينة والأولاد فى البحث والسؤال أو تضيع هذه الأموال على العائلة بسبب جهل أو سوء تدبير المتوفى!!

ولذلك أرسل الرب لحزقيا هذا التبيه " **أوص بيتك**". أن كل إنسان حكيم عليه أن يوصى بيته ويدبر أموره ويخبر زوجته وأولاده بكل ما يجب أن يعرفوه روحياً ومادياً.

ولذلك كانت من أفضل هذه التوصيات ما فعله داود عندما قربت أيام وفاته أنه أوصى سليمان أبنه قائلاً " **أنا ذاهب فى طريق الأرض كلها فتشدد وكن رجلاً. إحفظ شعائر الرب الهك إذ تسير فى طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب فى شريعة موسى، لكى تفلح**" (١مل٢ : ١-٤).

لماذا فزع حزقيا من الموت ؟

لقد أظهر الملك حزقيا فزعه وخوفه الشديد من الموت كما يتضح ويستنتج من المظاهر الأتية:

١ - وجّه حزقيا وجهه إلى الحائط وبكى بكاء عظيماً.

٢ - صلى حزقيا صلوات طويلة حزينة وعاتب الرب قائلاً: «آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحُسن فى عينيك ..» (أش٣٨ : ٣).

٣- قال حزقيا فى نشيد شكره للرب « أنا قلت فى عز أيامى أذهب إلى أبواب الهاوية قد أُعدمت بقية سنىّ ..» (أش٣٨).

٤ - لعل حزقيا قارن بين عمره فى شبابه وبين أعمار الآباء الأوائل مثل آدم الذى عاش ٩٣٠ سنة ومتوشالح الذى عاش ٩٦٩ سنة ونوح الذى عاش ٩٥٠ سنة وإبراهيم الذى عاش ١٧٥ سنة وموسى الذى عاش ١٢٠ سنة ويشوع ويوسف اللذين عاشا ١١٠ سنين، فحزن لأنه أدرك أنه يموت فى أقل من نصف عمره ! وكأنه مظلوم!

٥ -لم تكن عقيدة القيامة معروفة فى العهد القديم قبل قيامة المسيح، وكانت فكرة القيامة مجهولة وغامضة، وكانت الأشارة إلى القيامة نادرة لا تزيد عن أربع مرات متفرقة بين آلاف السنين مثل مزمور ١٦ : ١٠ "**لم تترك نفسى فى الهاوية ..**" وأيوب ١٩ : ٢٥ "**أما أنا فقد علمت أن ولي حي والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله**"، ورؤيا حزقيال ٣٧ عن وادى العظام اليابسة، ودانيال ١٢ : ٢ "**وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية وأولئك إلى العار للأزدراء الأبدى**". علماً بأن الأشارتين الأخيرتين أى حزقيال ودانيال كانتا بعد زمن حزقيا بمئات السنين.

٦ -**أمّا القيامة فى العهد الجديد وبعد قيامة رب المجد يسوع المسيح المجيدة فقد صارت بركة** وشهوة وربح كما نستفاد من حياة الآباء والشهداء وأقوال المسيح والرسول بولس والشهيد أستفانوس (يو٥ : ٢٤ ، ١٤ : ٢٥ ، فى١ : ٢١ ، ١تس٤ : ١٣-١٨ ، ١كو١٥ ... ألخ).

أليس العمر محدداً ؟

تثير حادثة مدّ الرب خمس عشرة سنة إلى عمر الملك حزقيا، الأستغراب والسؤال التقليدى: **أليس العمر محدداً ومعروفاً سابقاً؟!**

والأجابة نطق بها الرسول يعقوب فى مجمع أورشليم إذ قال "**معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله**" (أع١٥ : ١٨). ومؤدى هذا أن الرب كان يعلم مقدماً بكل ما حدث وأنه كان سيمدّ أجل حزقيا، ولكنه لا يعلن ذلك إلاّ فى حينه وحسب مشيئته وحكمته لأجل تعليمنا.

نشيد حزقيا ومعجزة رجوع الشمس عشر درجات:

كتب حزقيا كلمات هذا النشيد الجميل عندما شفاه الرب فى نحو عشر سطور فى سفر أشعياء إصحاح ٣٨ : ١٠-٢٠ ويتحدث فيه على أنه كان على وشك الموت فى عز أيامه أى قمة شبابه وكاد يترك أرض الأحياء ولا يعود يرى أحداً من سكان الفانية، وقد إنقطع مسكنه وإنقلع كخيمة الراعى وأنتهت أيامه كالمكّوك ونول النساج .. وكرر أكثر من مرة أن "**النهار والليل تفنيني**"، وأنه ظل يصيح كالستونة ويهدر كحمامة بصوت حزين، وقد طلب من الرب أن يكون ضامناً له، ووصل إلى نتائج الشفاء والحياة والغفران إذ طرح الرب خطاياه وراء ظهره وأدرك هذه النهاية المفرحة أنه "**هوذا للسلامة قد تحولت لى المرارة ... الحى هو يحمدك كما أنا اليوم، الرب لخلاصى فنعزف بأوتارنا كل أيام حياتنا فى بيت الرب**" وقد أعطاه الرب علامة على معجزة الشفاء بمعجزة أخرى وهى إرجاع ظل الدرجات بالشمس عشر درجات إلى الوراء "**فرجعت الشمس عشر درجات**" (أش٣٨ : ٨). هذه معجزة رابعة فى حياة حزقيا بعد محاربة الرب عنه جيش سنحاريب، ومعجزة شفائه ومعجزة مدّ الرب فى عمرة ١٥ سنة وهوذا الآن يعطيه علامة عجيبة أخرى بإرجاع الشمس عشر درجات وهى تشبه معجزة يشوع بإيقاف الشمس فى السماء يوماً كاملاً (يش١٠ : ١٢).

هل كان مدّ عمر حزقيا لصالحه؟

للأسف لم يكن إطالة عمر الملك حزقيا فى صالحه ولكنه لضرره وأساء إلى تاريخه! أمّا أولاً فقد أنجب حزقيا فى هذه الفترة منسّى الشرير بل أشرّ الملوك فى تاريخ سبطيهوذا الذى أرتكب

كل الفظائع ومن أشرها قتله لأشعياء النبى نفسه بنشره بالمنشار!

ثانياً - يخبرنا الأصحاح التالى - أشعياء ٣٩ - أن ملك بابل أرسل وفداً من رجاله يهنئون الملك حزقيا بشفائه وقدموا له هدية «ففرح بهم حزقيا وأراهم بيت ذخائره والفضة والذهب والأطياب وكل بيته أسلحته وكل ما وجد فى خزائنه وفى بيته وفى كل ملكه!».

كان يكفى الشكر أو رد الهدية بهدية ولكنه فى نشوة الأفتخار كشف نفسه وقلبه وكنوزه لأعدائه ففقدها جميعاً! فأرسل له الرب أشعياء النبى برسالة محزنه وقال له **" أسمع قول الرب هوذا تأتى أيام يحمل فيها كل ما فى بيتك وما خزنه آباؤك حتى اليوم إلى بابل، ومن بنيك يأخذون فيكونون خصياناً فى قصر ملك بابل. فقال حزقيا لأشعياء جيد هو الرب، فإنه يكون سلام وأمان فى أيامى"** (أش٣٩ : ١-٨) !!.

كان نتيجة تصرف حزقيا غير الحكيم هذا بسبب الأفتخار والتباهى أمام أعدائه أنه أضاع ثروته وميراث آبائه وكل خزائن الهيكل فإنقض عليه الذئاب وجردوه من كل شئ! آلا يقول المثل الشعبى (دارى على شمعتك تقيد؟).

ولذلك ما أصدق قول الكتاب **" أنه من وجه الشر يُضم الصدّيق"** (أى يموت) (أش٥٧ : ١). حتى لا يرى الشرور التى ستحدث

والآن نعود لسؤال العنوان: (ماذا تفعل إذا أطال الله عمرك ١٥ سنة ؟!).

الأجابة السليمة هى:

(١) أن تتوب وترجع إلى الله فوراً وتصحح مسار حياتك.

(٢) ان تطلب من الرب أن يُعوّض لك عن السنين التى أكلها الجراد (يوئيل٢ : ٢٥).

(٣) ينبغى أن تعمل مادام نهار لأنه سيأتى ليل (الموت) حيث لا يستطيع أحد أن يعمل" (يو٩ : ٤). مكثرين فى عمل الرب كل حين (١كو١٥ : ٥٨).

(٤) كل ما تجده يدك لتفعله فأفعله بكل قوتك لأنه ليس من عمل ولا إختراع فى الهاوية التى أنت ذاهب إليها (جا٩ : ١٠).

(٥) كن غنياً فى أعمال صالحة، سخياً فى العطاء كريماً فى التوزيع مدخراً لنفسك أساساً حسناً للمستقبل لكى تمسك بالحياة الأبدية (١تى٦ : ١٨).

(٦) إتق الله وأحفظ وصاياه وإدرس كتابه وحول أشواقك إلى السماء.

(٧) لا تضيع وقتك عبثاً فى تسالى تافهة وملاهى وأفراح صغيرة، بل أمتلئ بروح الله وعمل الخير للفقير والمريض واليتيم والأرملة وربح النفوس للمسيح.

وأخيراً .. هل توجد أشياء تطيل العمر وأخرى تقصفه؟

يضع الكتاب المقدس قواعد عامة تقول:

" **مخافة الرب تزيد الأيام. أما سنو الأشرار فتقصر**" (أم١٠ : ٢٧). * فالأشياء التى تطيل العمر هى مخافة الرب.

* **وإكرام الوالدين حسب الوصية الخامسة تطيل الأيام** (خر٢٠ : ١٢ ، أف٦ : ٢).

* والحكمة تطيل العمر فيقول " **طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة فى يمينها طول أيام وفى يسارها الغنى والمجد**" (أم٣ : ١٢ ، ١٦). ومن تعوزه حكمة فيلطلب (يع١ : ٥).

* ومحبة كلمة الله وحفظها تطيل العمر كقول الكتاب " **ليحفظ قلبك وصاياى فإنها تزيدك طوال أياموسنى حياة وسلامة**" (أم٣ : ١ ، ٢ ، ٤ : ١٠).

* أعمال البر والرحمة فيقول الكتاب مرتين " **البر يُنجى من الموت**" (أم١٠ : ٢ ، ١١ : ٢). ويوصى دانيال النبى الملك نبوخذ نصّر: " **لتكن مشورتى مقبولة أمامك إيها الملك. فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة على المساكين لعله يطال إطمئنانك**" (دا٤ : ٢٧). بل أن أعمال الرحمة على أضعف المخلوقات كالطيور تطيل العمر (تث٢٢ : ٦ ، ٧).

* بغض وكراهية الخطية ورفض الشر يطيل العمر كقول الكتاب " **مبغض الرشوة تطول أيامه**" (أم٢٨ : ١٦)..ألخ

أما الأشياء التى تقصر العمر فهى عكس السابق ومنها الأتى:

+ الخطية والعادات الشريرة عموماً " **إذ كان عير شريراً فأماته الرب**" (تك٣٨ : ٧). كالدخان والمخدرات والسكر.

+ **من ضرب أو سب أو شتم أباً أو أماً موتاً يموت**" (خر٢١ : ١٥ ، ١٧ ، لا٢٠ : ٩).

+**إهمال التناول من جسد الرب ودمه أو التقدم أليه بدون توبة وأستحقاق فيقول الكتاب** " **من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون**" (١كو١١ : ٣٠).

+الشذوذ الجنسى " **إذا أضطجع رجل مع ذكراً إضطجاع إمرأة فقد فعلا كلاهما رجساً. إنهما يقتلان دمهما عليهما**" (لا٢٠ : ١٣).

+**الأساءة إلى أرملة أو يتيم يقصر العمر** (خر٢٢ : ٢٢).

+الأزدراء بكلمة الله وإهمالها فيقول الكتاب " **من إزدرى بالكلمة يخرب نفسه**" (أم١٣ : ١٣ ، أش٨ : ٢٠).

+**خطية التذمر** (١كو١٠ : ١٠).

+**خطية العناد ومقاومة الحق** (أم٢٩ : ١).

St. John
Coptic Orthodox Church
Covina, CA

Tel. (909) 592-8847
(562) 900-2695

Email: frhanna@mystjohn.org
Website: www.mystjohn.org